النفحة التاسعة عشرة: رَمَضَانُ موسم الدعوة والدعاة

في شهر رَمَضَانَ المبارك ينشط الجهاز الدعوي العظيم، ويستأنف الدعاة عملهم ودورهم في المجتمع، وتكثر المحاضرات، والندوات، والخاطرات الإيمانية، وتهيم الأقلام على صفحات النور لتسطير كلمات الهدى، وتشهد المساجد حركة علمية وثقافية وعاطفية ترفع المعنويات، وتحرك المشاعر، وتنور الأذهان، وتذكي جذوة الإيمان.

وحيث إن مردة الشياطين تكبلت، فإن الكلمة الطيبة تعمل عملها، ويظهر أثرها، لأن إبليس الذي يصد عن سبيل الله، ويسعى لعرقلة مسيرة الدعوة، ووسوسة الناس قد قُيد بالأغلال، فعندها يكون الطريق معبداً، والنفوس مهيئة لاستقبال الهدى.

والدعوة إلى الله تعالى مهمة نبيلة، وعمل مبارك، أوجبه الحق عَزَّ وَجَلَّ على الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم، فكانوا يبلغون رسالات السماء، ويدعون الناس في الليل والنهار لا يفترون، ولطالما حدثنا القرآن الكريم عن دعوة الأنبياء والمرسلين، فهذا نوح شيخ المرسلين عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو قومه فيقول: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح: 2 ـ 9].

أرأيتم يا سادة ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ وفي السر والعلن ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ﴾ في سفوح الجبال، وبطون الأودية، في المنتديات والطرقات، في المجالس العامة واللقاءات الفردية، لا هم له إلّا هداية الناس، ولا يفكر إلّا بالسبل التي ينقذ بها

obeikandi.com

قومه من الشرك إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور.

وهكذا سائر إخوانه من رسل الله تعالى، فكان الواحد منهم يتحرق قلبه، ولا يهنأ بسهاد الليل، ولا قيلولة النهار، مادامت الغفلة مسيطرة على القلوب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: 44]، وما ذاك إلا لتجديد الإيمان، وإيضاح معالم الحق، والبعد عن مزالق الشيطان.

أيها المسلمون:

إن الدعوة إلى الله فريضة عظيمة فرضها الله ﷻ علينا، كما فرض علينا كثيراً من الفروض، وليست ضرباً من ضروب اللّهو والتسلية مع الناس، جاءت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة لتؤكد هذا المعنى، ولتدل على أن الدعوة مسؤولية كل مسلم دون استثناء، مادام مكلفاً، وليست مقتصرة على فئة دون أخرى.

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: 104].

ذهب كثير من المفسرين إلى أن (من) في قوله ﴿مِّنكُمْ﴾ بيانية وليست كما قال بعضهم تبعيضية، ويكون التقدير: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير، فهذا وصف هذه الأمة، بأن يكونوا بمجموعهم دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، وإذا كان هذا الخطاب لأصحاب النبي ﷺ الذين تلقوا الشريعة من رسول الله ﷺ، وعلموا بمراحل الدعوة وحيثياتها، وشاهدوا النصر العظيم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، فإن هذا الخطاب يكون حكماً ثابتاً على كل جيل من بعدهم بطريق القياس لئلا يتعطّل الهدى.

إن الدعوة وظيفة كل مسلم على سطح الأرض، وهذه الوظيفة ضرورية لإقامة منهج الله على الأرض، ولتغليب الحق والتصدي للباطل، وهي تكليف ليس بالسهل اليسير، إذا عرفنا طبيعته، وإذا نظرنا إلى اصطدامه بأهواء الناس وشهواتهم، ومصالحهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وتسلط الآخرين، وبسبب هذه المشقة جعل

الحق تبارك وتعالى للدعاة أجراً عظيماً ووصفهم بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾.

ويقول الحق ﷻ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يُوسُف: 108]، هل قصرت الآية الكريمة الدعوة على العلماء أو الخطباء أو المفتين أو القضاة، لا، بل كل متبع للنبي ﷺ هو داعية إلى الله تعالى، الرجل والمرأة، والصغير والكبير، وكل حسب قدرته وطاقته، فالحاكم بسلطانه ونفوذه، والعالم بعلمه، والغني بماله، وصاحب الوجاهة بشفاعته، والمعلم في قاعات تدريسه، والأديب في قلمه ونثره وشعره، والصحفي في مقالته، والإعلامي في قنوات الفضاء والإذاعة، والمهندس في مواقع الإنترنت وتخصصه الذي يبرز معالم الإسلام الحضارية، والطالب في جده واجتهاده وبين زملائه، والطبيب في علاجه بأمانته وإخلاصه ووعظه للمرضى، وهكذا فالمسؤولية تقع على عاتق الجميع، ويتحمل تبعتها كل المسلمين.

أما موضوع الإفتاء في قضايا الحلال والحرام، وفضّ المنازعات، وحل الخصومات بين الناس، والحكم في المسائل الشرعية، فهذا من شأن العلماء والقضاة، وأهل الذكر هم المعنيون به، ونحن إذ نطالب عامة الناس بالدعوة، فإننا نحذِّر في نفس الوقت من التجرؤ على الفتية، فالدعوة بالخلق الحسن، والكلمة الطيبة، والسلوك المستقيم، وتذكير الغافلين، وهداية الضالين، هذا شيء، والإفتاء في الشرع شيء آخر خصّه الله تعالى بالعلماء.

أيها الســـــادة:

إن خير عمل يقوم به الإنسان في دنيا البشر، ويتقرب به إلى الله تبارك وتعالى، ويزكي به نفسه، ويصلح به فساد القلوب، وخراب النفوس، هو الدعوة إلى الله تعالى، كما صرح بذلك ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فُصّلَت: 33]، من أحسن قولاً، هل هناك أحسن قولاً، وأجمل بياناً، وأرقى كلاماً من كلام يصدر عن ألسنة توجه المخلوق للخالق، وترشد التائه الحيران إلى البارئ، وهل هناك قولاً أعظم عند

ﷲ وأثقل في ميزان السماء، من إرشاد العبد إلى ربه تبارك وتعالى.

أخي المســلم:

إن أول مستفيد من الدعوة إلى ﷲ هو أنت، لأنك إن ذكَّرت الناس باللّه لم تغفل، وإن ذكّرت ذَكَرت، وإن جَمُد لسانك عن الدعوة إلى ﷲ غفل قلبك، واهتز اليقين في نفسك، وأصبحت على خطر عظيم، ولذلك لا تجد في القرآن الكريم موضعاً ذكر فيه العمل الصالح إلّا وقرن بالإيمان، إلّا فيه هذه الآية، لماذا؟

لأن الدعوة إلى ﷲ تعالى تتضمَّن الإيمان، وتقوي الإيمان، فكلما دعوت الناس وذكرتهم، وتحدثت عن عظمة الخالق تبارك وتعالى، ازداد إيمانك ورسخ يقينك.

يقول صاحب الظلال رحمه ﷲ: (إن النهوض بواجب الدعوة إلى ﷲ في مواجهة التواءات النفس البشرية وجهلها، واعتزازها بما ألفت، واستكبارها أن يُقال لها: إنها كانت على ضلالة، وحرصها على شهواتها ومصالحها، وعلى مركزها الذي قد تهدده الدعوة إلى إله واحد.

إن النهوض بواجب الدعوة في مواجهة هذه الظروف أمر شاق، لكنه عظيم، إن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام للّه الذي تتوارى معه الذات، تصبح الدعوة خالصة للّه، ليس للداعية فيها شأن إلّا التبليغ، ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقَّى كلمته بالإعراض أو بسوء الأدب، أو بالتبجح في الإنكار، فهو إنما يتقدم بالحسنة، فهو في المقام الرفيع، وغيره يتقدم بالسيئة، فإن الحسنة لا يستوي أثرها ـ كما لا تستوي قيمتها ـ مع السيئة والصبر والتسامح، والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر، يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجماح إلى اللين)[1].

(1) في ظلال القرآن، 5/ 3121.

ولنعلم أن هناك مجموعة من الخصال ينبغي أن يتسم بها الداعية إلى الله منها :

1 ـ إخلاص القول والعمل للّه تبارك وتعالى:

لأن المخلص يؤثر كلامه بالحجر، وهذا هو السر في أننا نجد كثيراً من البلغاء والفصحاء، إذا تكلموا في محفل قد جمع جمهوراً كبيراً من البشر، لا نجد لكلامهم في نفوس الناس أي أثر، مع رصانة قولهم، وتألق بيانهم، لكن قلوبهم خربة خاوية على عروشها، في حين أنك تجد إنساناً بسيطاً في كلامه متواضعاً في هيئته، بمجرد أن يفتح فمه، فإن القلوب تخشع، والعيون تدمع، والنفوس توجل، فإذا حدثهم بالذكر فكأنه يتنزل عليهم لتوّه، إنه الإخلاص: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيّنة: 5].

2 ـ اللطف والرفق واللين في الدعوة:

ذلك أن لين القول يفعل ما لا تفعله أكبر ترسانة عسكرية، اللين يأسر القلوب، ولا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء والاستعلاء الذي يعيش به الظالمون والطغاة، كما أنه يستثير من أقاصي النفس نسيج التذكر والاتعاظ.

ولذلك عندما أرسل ربنا سبحانه وتعالى موسى وهارون إلى فرعون، زودهما بهذه الوصية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: 44].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمة، ألا تراه قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ وقال: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: 46] (فكيف بنا؟ فنحن أَوْلى بذلك، وحينئذٍ يحصل الآمر الناهي على مرغوبه، ويظفر بمطلوبه، وهذا واضح... والقول اللَّين: هو القول الذي لا خشونة فيه، فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه)[1].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 11/ 199.

وهذا من أخطر ما ابتلي به بعض المنتسبين إلى حقل الدعوة الإسلامية اليوم، فإنك تراهم إذا باشروا الدعوة سواء في المحاضرات العامة أو اللقاءات الفردية، أو الكتب والأشرطة، تراهم ينشرون ما حوته جعبتهم من سوء الظن بالمسلمين، وبالعنف، والغلظة، والتكفير، والتضليل للمسلمين، واتهامهم بكذا وكذا، مع وجه عبوس، وصوت صداح، ونبرة قاسية، مما يؤدي إلى نفور الناس منهم ومن الدين، وتزمّت الملتزم، وإعراض الغافل، كل ذلك بسبب هذا الأسلوب العقيم الذي لا يعبر إلّا عن سوء خلق!.

وغاب عن بال هؤلاء أن النبي ﷺ كان أرحم الناس بالناس، وأنه بحسن خلقه وابتسامته في دعوته، ولطفه ولينه، كان يدخل الناس في الإسلام، وبعفوه ﷺ وسماحته، كانت تدخل القبائل والوفود في دين الله أفواجاً، وربنا تبارك وتعالى خاطبه ـ بعد كل ذلك ـ خاطبه قائلاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: 159].

سبحان الله، مع سعة رحمته ﷺ، وعظيم أخلاقه، يخاطبه ربه بهذا الخطاب، ليكون درساً لكل من يتصدر الدعوة الإسلامية، الداعية ينبغي أن يكون رحيماً بالناس، عطوفاً عليهم، يبغض فسق الفاسق، وكفر الكافر، لكن لا يكره ذواتهم لأنهم بشر، وما يدريك لعل الله في لحظة من اللحظات يحبوهم بنعمة الإيمان، فيصبح الواحد منهم قرآناً يمشي على سطح الأرض.

إننا يا دعاة الإسلام: بأمس الحاجة إلى الأخلاق المحمدية في دعوتنا، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن تسعوهم بأخلاقكم، إننا دعاة ولسنا قضاة حتى نحكم على هذا بالجنة، وعلى هذا بالنار، ومن الذي نصّبنا على خزائن الجنة وزمام جنهم، حتى ندخل بها أناساً ونحجب آخرين!.

يا دعـاة الإسـلام:

لم يكن نبينا ﷺ فظاً، ولا غليظاً، ولا طعّاناً، ولا لعّاناً، ولا فاحشاً، إنما كان قلباً رحيماً، وكنفاً حليماً، صاحب وجه بشوش، ونفس سمحة، وود واسع،

وحلم لا يضيق بجهل الناس وضعفهم ونقصهم، وقلب متدفق بالعطاء والكرم.

3 ـ العمل بسلم الأولويات:

ومعالجة مشاكل الناس حسب الأهم، وهذه سنة قرآنية عالجت أمراض المجتمع الجاهلي، حيث كان التدرج في الأحكام الشرعية سبباً في انتشال الأمراض المتأصلة في حياة الناس، فعالج الخمر والربا والفساد رويداً رويداً، حتى صحا المجتمع المسلم على فجر صباح مشرق بنفوس أبية، ترفض المعصية، وتستهجن المحرمات.

والاهتمام بسلم الأولويات الذي يبدأ بالأهم فالمهم، دليل على حكمة الداعية، وضلوعه في عمله، وسعة أفقه، وهضمه لمقاصد وروح الشرع الحنيف، واتباعه للحبيب المصطفى ﷺ، فعندما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(1).

وفي المقابل فإن الذي يعكس هذا المبدأ، ويقيم الدنيا ويقعدها من أجل أتفه الأسباب، وأقل الأمور، ويترك قضايا الأمة الكبيرة وما يحيط بها، فإن نصيبه من الحكمة ضنين، ومن سعة الأفق قليل، وفهم الشرع الحنيف يسير.

4 ـ العمل بما علم:

فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، والداعية قدوة، وبه الناس مقتدون، فإن كان القدوة حسن السيرة، رفيع الأخلاق، مستقيم السلوك، تبعه الناس، وانجذبت القلوب إليه، وهوت الأفئدة تجاهه، فنفع الله الناس بعلمه وعمله، وإن كان غير ذلك، فإنه يشوه صورته، ودعوة الإسلام، ويجعل الناس في

(1) رواه البخاري، 6/ 2685، رقم: (6937)، ومسلم، 1/ 50، رقم: (19).

تناقض عجيب، بين ما يسمعون، وما يشاهدون، ويحق عليه قول ربنا ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ [الصَّف: 2].

5 ـ الحكمة في الدعوة:

والحكمة تعني: الصواب في القول والعمل، وتعني: فعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الشكل الذي ينبغي.

والحكمة تقول لنا: ليس كل ما يعلم يقال، وليس كل ما يقال حضر أهله، وليس كل ما حضر أهله حان وقته.

والحكمة تفرض علينا أن نستخدم أحدث الوسائل المتطورة في كل عصر للدعوة إلى الإسلام، بما يتناسب مع الناس، وبالشيء الذي تعارفوا عليه، وبالوسائل التي ألفوها وعايشوها.

فالدعوة اليوم لم تعد محصوره في المحاضرات أو القاعات، أو المساجد والمنابر، أو التجمعات العامة، أو اللقاءات الخاصة، إنما تعدت هذا إلى أوسع وأشمل من ذلك، إلى عالم الإنترنت والقنوات الفضائية، ووسائل الإعلام المختلفة.

إن من الواجب على المسلمين، علماء وحكام، أن ينشطوا في بث الدعوة الإسلامية عبر الإنترنت وبلغات متعددة، ليواجهوا العولمة التي هيمنت على الناس، بما تحمل من حلو ومر، وحسن وسيئ، وأخلاق ولا أخلاق، وأن يعرضوا الإسلام بحلته البهية، ومبادئه السامية، وبالتركيز على أصوله التي تستعصي على الذوبان والتميع مهما تقدم العصر، وفروعه المرنة التي تتكيف مع الوسائل الحاضرة، والقضايا المعاصرة، فتعطي الأجوبة والحلول، وتشخص وتعالج، وتواكب العصرنة، وتساور كل جديد.

أيها المسلمـــون:

ها هي الجاهلية قد بعثت من مراقدها من جديد، وكشَّرت عن أنيابها، وقادت الدنيا في معترك الفوضى والاضطراب، ودفعت ولا تزال تدفع بالناس إلى

حافة السقوط، وحتفهم المنتظر، المقاييس قد اختلت، والقيم انتكست، والحقائق قلبت، وأمواج الضلال سيطرت، والمثل والمبادئ السامية اندثرت أو تكاد، وقواعد الأخلاق النبيلة نسفت، والعالم كله يرتقب أسوأ المصائر المرعبة، كل ذلك لأن دعاة الباطل تمكنوا، وعشاق الجريمة انتشروا، وناشري الرذيلة نشطوا، ودعاة الإسلام وحراس العقيدة ناموا أو غيبوا. . .

أيها الأحبـاب:

لم يستفحل الباطل يوم استفحل، ولم ينتشر الفساد ويطغى يوم انتشر، وما ضاعت مقدساتنا ودنست يوم ضاعت، وما خسرنا القيم والأخلاق وانحلت يوم انحلت، إلّا بسبب انشغالنا بالدرهم والدينار وإعراضنا عن تبليغ دعوة سيد الأنام ﷺ.

العالم اليوم بلغ عدد سكانه المليارات، ونسبة المسلمين أقل من مليار ونصف، والباقي عبدة الأبقار والأحجار والأوثان والصليب والمادة والأشجار. . . من لهؤلاء؟ ومن المكلف بإيصال الدعوة في أحسن حلتها ومظهرها يا مسلمون؟

بالله عليكم يا سـادة:

عندما وقر الإيمان في قلوب أصحاب النبي ﷺ هل ناموا في بيوتهم، وأخلدوا إلى الدنيا ونزواتها من مال ونساء وولد؟ وهل كنا نحن مسلمين لو لم يقوموا بواجب نشر الدين وتبليغ الرسالة، لقد انتشروا في بقاع الأرض، في المشارق والمغارب أكلت بعضهم الوحوش في طرقهم، وبعضهم استرق من قبل قطاع الطرق وبيع عبداً، وهذه قبورهم المنتشرة في كل مكان، تدل على نشاطهم في الدعوة والتبليغ، ولذلك وصلنا الإسلام، وإن لم نقم نحن بنفس المهمة، فكيف يصل الإسلام إلى الأبناء والأحفاد وإلى الناس إن هاجروا وانتشروا في أصقاع الأرض.

واعلموا أيهـا الأحبـاب:

أننا إذا قمنا بواجب الدعوة رفع الله تبارك وتعالى عنا العذاب، ووقانا رجز السماء، وأنجانا من مقته وغضبه، وإليكم مصداق هذا، يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف: 163].

ثم يقول بعدها: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: 165].

أرأيتم يا سادة، الدعاة الذين كانوا ينهون عن السوء أنجاهم الله ﷻ من سوء المصير، والعذاب الأليم، ووقع الخزي على الكفرة والمتخاذلين.

ويقول ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هُود: 102]، أي ظلم هذا الذي يعنيه القرآن الكريم؟ إن الظلم هنا هو عدم الدعوة والتقصير في الإصلاح، ويفسر هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هُود: 117] .

نعم لا يعذبنا الله تعالى مادام فينا دعاة إلى الخير مصلحين، ولم يقل: صالحون، لأن الصالح خيره قاصر على نفسه، أما المصلح فخيره متعد لغيره، ولذلك عندما استيقظ النبي ﷺ في جوف الليل كما جاء في البخاري، عن زينب بنت جحش رضي الله عنها:

أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: **«لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»**، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **«نعم، إذا كثُر الخبث»**(1).

قالت: أنهلك وفينا الصالحون، ولو أنها قالت: أنهلك وفينا المصلحون لقال: لا، بنص القرآن، وشتان بين الصالح والمصلح.

فبادر أخي المسلم إلى هذا الواجب، وابدأ بنفسك وأهلك ومن يلوذ بك،

(1) رواه البخاري، 3/ 1221، رقم: (3168).

ولايفتر لسانك عن التذكير والنصح والتنبيه، وبالحسنى وبالتي هي أحسن، إن كنت آمراً بالمعروف، فليكن أمرك كذلك بالمعروف، اللَّهم وفقنا لمحابك من الأعمال، واستعملنا في خدمة دينك، وتبليغ رسالة نبيك ﷺ يا ربنا، والحمد للَّه رب العالمين.

obeikandl.com